

تتزعج الولايات المتحدة اليوم حركات واسعة النطاق في دنيا الصناعة والسياسة والحرب والاقتصاد. ولكنها ما تزعمت بعد حركة ذات بال في اي فرع من فروع الفن والأدب والفلسفة إلا حركة

ولت هوتمن :

ابو الشعر المنسرح

بسم منجائيل نسيمه

فمن عاندها عانده الطبيعة .
ومن أفسد الغاية منها أفسد
غاية الطبيعة .

لقد كان هوتمن متفائلاً
بالحياة وبالناس الى أقصى
حدود التفاؤل . وكان الانسان
في نظره أقدس ما في الحياة .

ولذلك أحب الناس ، والعمال والبسطاء منهم على الأخص .
واحبه من سائر الاجناس والاديان واللغات . وكان صادقاً في
حبه . فما تكلفه تكلفاً . ولا هو صورّه على الورق إلا لانه
كان محفوراً في قلبه . ولا أعلنه بالقول إلا لانه كان يجيئه
بالفعل . وقد فتنت لبّه الحياة الاميركية الجياشة بالبعث
والخلق والحركة ، تدفعها الى الامام وتهمين عليها روح
ديمقراطية تمحو الفوارق بين الطبقات وتساوي بين الانسان
والانسان من حيث الحقوق والواجبات والكرامة . وقد
جملها خيال الشاعر ونزّهها عن الأغراض الحسية فاتخذ منها
ما يشبه الدين وغناها أجمل أغانيه وبثها الطف مشاعره .

ولد ولت هوتمن عام ١٨١٩ في مزرعة قريبة من نيويورك .
وكان ابره فلاحاً ونجاراً من اصل انكليزي وامه من ارومة
هولندية . فتعلم النجارة من والده . ثم راح يفتش عن معاشه .
فاشغل ساعياً في مكتب للمحاماة ، ثم منضد احرف في مطبعة ،
ثم معلماً في مدرسة ريفية ، ثم نجاراً ، ثم صحفياً ، ثم عاد الى
حرفة والده يبني اكواخاً خشبية ويبيعهها . وفي عام ١٨٥٥ طلع
على العالم بمجموعة من الشعر عنوانها « اوراق
من العشب » وعدد صفحاتها ٩٤ . فما هش لها
احد أو بش . والذين اتفق لهم أن طالعوها
اؤان كتبوا فيها كلمة استقبلوها بالاستخفاف
والسخرية . وكانت الحرب الاهلية . فتطوع
الشاعر لمؤاساة الجرحى في احد المستشفيات
العسكرية . وكان قد بعث بنسخة من قصائده
الى الكاتب الاميركي الشهير « امرسن » .
فاذا به يتلقى منه رسالة يصف فيها المجموعة بانها
« قطعة فريدة من الصحافة والحكمة ما قدمت
اميركا ما يماثلها بعد » . هذه الشهادة تأتي
الشاعر المجهول من « حكيم كونكورد » الذي

الشعر « المنسرح » ، فقد كان الشاعر الاميركي « ولت
هوتمن » اول من دعا الى هذا اللون من الشعر واول من
مارسه بقوة العبقرية ، وإخلاص المؤمن ، وحماسة من يحمل
رسالة جديدة . ولقد فتشت عن كلمة عربية تصلح لوصف ذلك
البيان المحيّر ما بين الشعر والنثر فلم اجد أفضل وأوفى بالغرض
من كلمة المنسرح . ولا اعني انه يت بصلة الى البحر المعروف
بذلك الاسم من مجور الشعر العربية . ولكن في الكلمة ما يعني
الانطلاق وما يعني الحركة تجري الى هدفها بسهولة وبغير قيد .
وتلك هي أبرز صفات هذا النوع من الشعر . فهو لا يتقيد
بوزن أو بقافية . بل يجري على السجية جرياً ليس يخلو من
الايقاع الموسيقي والرنه الشعرية .

لا بد لكل مذهب جديد ، ان في الأدب أو في سواه ، من
شخصية قوية توجه خطاه وعبقرية فذة تتعهد نموه . والشعر
المنسرح قد وجد في ولت هوتمن مثل تينك الشخصية والعبقرية .
فقد كان الرجل مديد القامة ، متين البنية ، وسيم الطلعة ، حالم
العينين ، بشوش الأسارير ، وأسع الخيال ، ذا قلب غني بالمحبة
وفكر طاهر من الغش ، ونية صافية من
الدنايا ، وروح مطبوع على الصدق والبساطة .
وكان يتعشق الطبيعة في كل مظاهرها ،
ويتعشق الحياة ما أفسدت فطرتها التقاليد ،
ولا اعتزمت مجاريها سدود اللياقات والمجاملات .
ولذلك كان يكره التأنق في اللباس وفي المأكل
والمشرب وفي الكلام والكتابة . فيعيش ،
من هذا القبيل ، عيشة الدراويش . وهو الى
ذلك ، أبعد ما يكون عن الزهد والتقشف .
فالتمتع بالملذات الجسدانية في عقيدته امر
مشكور كالتمتع بالملذات الروحانية . بل هو
حاجة خلقتها الطبيعة في الجسد لغايات نبيلة .



ولت هوتمن

اجتازت شهرته المحيط من زمان ، كانت كافية لتلفت اليه الانظار ولتدفع به الى الامام .

وراح هوتن من بعدها ينظم ويضيف الى مجموعته ويعيد طبعها وينقحها من حين الى حين حتى بلغ بها الطبعة الثامنة في حياته، وحتى بلغت صفحاتها خمسة اضعاف الطبعة الاولى ويزيد. وقد ظل حتى آخر عمره يعتقد، كما كان يعتقد الجمهورية الاميركية، « تجرية» لا يستطيع دحضها او اثباتها غير الزمان . اما العوامل التي دفعت به الى القيام بتلك التجربة فكثيرة . اهمها مزاجه الرحب الذي كان يأبى التقليد مثلما كان يأبى الحصر والتقييد. وذلك المزاج هو الذي خلق له الحجج التي راح يتذرع بها للدفاع عن مذهبه او تجربته . فقد كان يقول ان القوالب الشعرية القديمة بلغت منتهاها على ايدي الذين سبقوه من عباقرة الشعراء . فلا جديد في محادثها او في مجاراتها . ومن ثم فالشعر القديم كاد ينحصر في التغيي بالمرأة وبالبطولة وفي شؤون الطبقات العليا من الناس من غير ان يلقي بالاً الى ذلك الخضم الزاخر بالبطولة والجمال الذي هو العامة . لقد كان شعراً اريستوقراطياً . والعصر الجديد عصر ديموقراطي . فلا بد له من شعر ديموقراطي . والديموقراطية الجديدة تعني الآلة مثلما تعني الانسان . وتعني العامل مثلما تعني صاحب العمل . فجدير بها ان تخلق شعراً يحس إحساسها وينبض انباضها ، وان تخلق لشعرها قوالب تتسع لما فيها من مد وجزر ، وامل وانطلاق .

أما اسلوب هوتن في النظم فأسلوب مديد ، متونح ، يجري - على حد قوله - جري الطائر في الهواء او السكة في الماء . وهو بريء من كل زخرفة ووشي . فلا كناية ولا استعارة ولا طلاء . بل مفردات عارية تتزاور فتأتيك بالصور وبالافكار والاحاسيس التي يسعى الشاعر الى خلقها في ذهنك وإثارتها في وجدانك . وقد يطول به النفس الى حد ان تملئه . وعلى الاخص حيث يُكثر من الجمل المعترضة والمعاني الاضافية التي يضعها لك بين قوسين . ولكنك لا تستطيع إلا ان تحس فيه القوة والايان والاخلاص . فهو - كما شبهه كاتب انكليزي من تبايعه - كالقلع فيه الصخور الجبارة ، والحجارة المنحوتة ، والحجارة التي ما هندستها بعد مطرقة او إزميل وتلك التي تفتتت فعدت حصى او غباراً .

وأعطيك مثلاً على اسلوب هوتن ونفسه المديد قصيدته المشهورة « تحية العالم » وهي تملأ اثنتي عشرة صفحة من المجموعة

وكل صفحة تنطوي على ٣٦ سطراً ، وقد توجها بعنوان فرنسي Salut au Monde فهو يبدأها مخاطباً نفسه هكذا :

« اليك يدي يا وولت هوتن ، وهيا معي . »

ويقود وولت هوتن وولت هوتن من مشهد في العالم الى مشهد فيسأله عند كل مشهد : ماذا تسمع يا وولت هوتن ؟ او ماذا ترى يا وولت هوتن ؟ فيمضي يعدد الاصوات والمشاهد التي يسمعا ويبصرها في الارض . فلا يترك جبلاً او بحراً او نهراً او مدينة من جبال الارض المعروفة ومجارها وأنهارها ومدنها إلا ذكرها وذكر الشعوب التي ترتبط حياتها بها . حتى ليخيل اليك انه يلقي عليك دروساً في الجغرافيا . ولكنك ، إذا لم يخنك جلدك وبلغت آخر القصيدة ، خرجت منها شاعراً بانك كنت فرداً فأصبحت جماعة ؛ وكنت في عالم ضيق فاذا بك في عالم لا يحد ؛ وكنت منظوياً على نفسك فانتشرت بعيداً وفسيحاً في كون بعيد فسيح ؛ وكنت غريباً عن الكثير من شعوب الارض وبقاعها فاذا بكل شعب شعبك وبكل بقعة وطنك . وذلك الشعور بالتام هو ما يرمي الشاعر الى إثارتها فيك . وقد بلغ مأربه . واذا ذاك فأني بأس عليك أطال بك الطريق أم قصر ؟ أأسرف دليلك في الشرح أم لم يسرف ؟ ومن ثم فأنت تصفح له اسرافه في الكلام - أو قل ثورته - مقابل ما تأنس من الدفء في قلبه ، والنور في فكره ، والخصب في خياله . وينتهي بك المطاف وفي أذنك رنة حلوة تتأوج في ختام تحية هوتن للعالم اذ يقول :

« سلام أيها العالم !

حيثما قامت مدينة يتغلغل فيها النور والحرارة ، هنالك أنتغلغل أنا كذلك .

وحيثما نبتت جزيرة وصوب طائر اليها جناحه ، صوبت اليها جناحي كذلك .

وها أنا أرفع يدي لكل -

أرفعها عموداً عالياً في الفضاء -

لتبقى من بعدي علامة

يبصرها الناس أينما كانوا وحيثما استقرّوا . »

قد ينفر ذوقك من خشونة اسلوب هوتن ، ويضيق صدرك بترديده وثورته ، لكنك لا تستطيع إلا ان تجل ثورته على التصنع والتكلف والرياء في الكشف عن خبايا النفس وبث أسواق القلب ، وإلا أن تكبر روحه الفسيح الذي يتعاقب

الذات العربية وموقفها من الحضارة الغربية

بقلم الدكتور عبد العزيز الدوري

فان فهم الذات العربية يتركز على هذه المرحلة . وليست هذه المرحلة الحضارية رابدة ، بل تطورت ومررت بادوار . ومعنى ذلك محاولة فهم الذات خلال هذه الادوار ، وذلك لملاحظة الأصيل من الطارئ والنامي المتطور من الراكد . وهذه المحاولة لا تتحقق إلا بدراسة كنوز الفكر العربي التي تعبر عن القيم المشتركة . فندرس الحديث وكتب الفقه والأدب والانسانيات ككتب الغزالي ، وتتابع دراسة التاريخ بروح نقدية ، ندرسها كمختصين بنصوصها الاصلية ، وندرسها في المدارس بصورة مبسطة لنبت الروح التي تنطوي عليها ولنغذي الذات الحالية القلقة .

وإن جاز أن أضع بعض الخطوط فاني ألحظ مبدئياً قيمة العنويات والمثل في هذه الامة . وليس القصد من ذلك انها لا تقدر الماديات بل انها تحتاج إلى الهيكل الادبي والروحي ، تحتاج الى العقيدة لتضحي وتسير موحدة وإلا اشتعلت الأنايات والفرديات والنزاعات الضيقة . وقد عبر عن ذلك ابن خلدون حين أكد ان العرب لا يخضعون إلا لرئاسة دينية .

لكل امة شخصية تاريخية ونفسية خاصة تنشأ عن ظروفها التاريخية والجغرافية وتبدو في وجهتها وقيمتها المشتركة . وتحتاج الامة في ادوار القلق الى ان تفحص كيائها وان تفهم ذاتها لتستطيع النهوض ولتتمكن من مجابهة الموجات الخارجية . ويهمني في هذا المقال ان ابدي بعض الملاحظات حول الذات العربية وموقف العرب من الغرب .

ولعل فهم الذات يتم بملاحظة بعض القيم المشتركة والوجهة في الحياة . ولنذكر بعد هذا أن المجتمع العربي في كل عصر من عصوره يتدرج من البداوة الى الريف الى الحضارة المتأثرة بالغرب (أو بحضارة اخرى) متأثراً سطحياً أو محدوداً لدى الاكثوية وبصورة عميقة لدى الاقلية . وهذا يشير إلى تنافر في بعض القيم وإلى ضرورة تحديد وجهتنا في الحديث عن الذات العربية .

ولكن دور العرب في التاريخ ورسالتهم الكبرى هي في دورهم الحضاري وفي فترة الابداع التي تلت ظهور الاسلام . وما دام تكوين الدولة والمجتمعات الاسلامية يتصل بالعرب المتحضرين

وسائر الأرواح في الكون ، والذي يخاطب « المصلوب » مخاطبة الأخ لأخيه فيقول له :

« مني اليك يا أخي الغالي :

« لا يهمنك أن الكثير ممن ينادون باسمك لا يفهمونك .

فأنا لا انادي باسمك ، ولكنني أفهمك . وهناك غيري كذلك .

نحن وإياك نسير معاً صامتين في خضم من الجدال والتأكيد ، فلا نرفض المتجادلين ولا شيئاً مما يؤكد المؤكدون .

ونحن نسمع ما يثيره الجدال والتأكيد من نزاع وضواء .

ولكننا يارفيقي نمشي ولا قيد في أرجلنا . نمشي طليقين في كل أنحاء الأرض .

ولن نقف الا من بعد أن نترك لنا آثاراً بالغة في صحيفة

هذا الزمان وكل زمان .

والا من بعد أن نملأ هذا الزمان وكل زمان بالأخوة التي

تشدنا بعضاً لبعض .

كما يعيش رجال الأجيال الآتية ونساؤها

اخوة وأحباء مثلاً أعيش وإياك أخوين وحبيبين . »

لولم تقيض الأقدار للشعر المنسرح زعباً من عيار وولت

هوتمن لانتهى الى حيث انتهت ازياء أدبية كثيرة من قبله ومن

بعده - الى النسيان . ولكن عبقرية هوتمن الجياشة بالحب

والصدق والتعطش الى الحرية والايان بجمال الحياة وقدسيتها

هي التي كفلت لذلك النوع من الشعر البقاء حتى اليوم . فما

انصرف هوتمن عن هذه الدنيا عام ١٨٩٢ حتى كانت شهرته قد

طارت عبر المحيطات والقارات . ففي الولايات المتحدة وغيرها

أندية ادبية كثيرة تحمل اسم هوتمن ، وشعراء يحيون ذكره

ويستلهمونه ، ويسرون تحت لوائه وعلى حدائه .

ميخائيل نعيمة